

كيف يتعاطى العراقيون في أهداف زيارة الجبير وابعادها وهل يصلح العطار ما فسد الدهر!

ليلي البحريني

عاد الجبير مهندس الدبلوماسية السعودية من بغداد الى الرياض بعد ان حملت رسائله العديد من الملفات تُرجمت عراقياً بكونها رسائل ترهيب وترغيب . زيارة الجبير جاءت بعد قطيعة سعودية دامت 14 عاماً شك في نواياها الكثيرون ووضعوا أمامها الكثير من علامات الاستفهام عن أهدافها ونتائجها . لماذا تكتم الجانب السعودي على هذه الزيارة حتى ان المسؤولين والبرلمان العراقي لم يحيطوا بهذه الزيارة علماً الا قبل ساعات من تنفيذها .

حقيقة احياناً في عالم السياسة لاندري كيف تتغير المعادلات والتصريحات المتتشنجة والطالعية في ليلة وضحاها الى صيغة اخرى ولاندري هل استيقظ الجبير فجأة على حلم يحثه بوجوب دعم العراق وتقديم العروض السخية تشمل افتتاح خليجي كامل مع العراق سياسياً واقتصادياً ، وإعادة إعمار المناطق المدمرة وفتح معبر جميجيحة الحدودي وتأمين الحدود وتفعيل الطيران المدني وتبادل المعلومات الأمنية اضافة الى رفع اسم العراق من قائمة الدول الممنوعة من السفر الى الولايات المتحدة . وووو

عوّدنا اوردكان بعد المحاوله الانقلابية الفاشلة سرعان ما يتراجع عن بعض مواقفه الخاطئة لكن ان تتغير سياسة السعودية وتنقلب كل المعادلات المسئنة للعراقيين باتجاه مغاير نحو الود والاحتضان بشكل مفاجيء هذا مالم يتعود عليه العراقيون من قبل . فالسعودية تتبع سياسة (عليه وعلى اعدائي) .

اعتقد ان الزيارة المفاجئة أتت بأوامر ترامب وإملاءات أمريكية صدرت بعد التحالف الخليجي الامريكي الصهيوني الذي ظهر للعلن في مؤتمر ميونخ للامن والسلم . بعد ان كان تسير بخفاء . تحالف مهمته إنهاء القضية الفلسطينية وانهاء دور محور المقاومة وهذا يتطلب بدءاً بمحاربة وتحجيم الدور الإيراني في العراق والمنطقة كلها لأن المنطقة ما بعد داعش والموصل مقبلة على متغيرات كبيرة ولابد لحكومة العبادي فهمها جيداً واستيعابها .

وحسب ما تسربت بعض الأخبار ان الرسالة كانت واضحة مفادها يتلخص في اربع نقاط : الاولى القلق والتخوف

السعوي من عودة الإرها بين إلى المملكة بعد تحرير الموصل وباقى المدن العراقية وبث كيفية التعاطي وتبادل المعلومات بهذا الجانب.

ثانياً إرسال شفرات يُفهم منها ان المملكة تقوم بدور الدولة الراعية و الأب الجامع للشتات السنّي العراقي بعد ان فشلت كل المحاولات والجهود في مؤتمر جنيف الأخير تحت وصاية عرب تقسم العراق جوياً وقبلها مؤتمرات في أنقرة ومصر وقطر منذ عام 2003

ثالثاً إنّ على العراق ان يختار ويقرر أمّا ان يكون مع التحالف الامريكي الخليجي الصهيوني او ضدّ ،
لابحق له ان يختار على راحته منطقة وسطى وان يمسك بالعضا من منتصفها عين على ايران واخري على
امريكا .

رابعاً التخوف السعودي من مساندة العراق للنظام السوري ومن تطور طيرانه العسكري وشن غارات جوية استهدفت معاقل داعش داخل الاراضي السورية في البو كمال . وهذا يثير حفيظة السعودية التي انفقت المليارات لاسقاط بشار الأسد .

شيء طبيعي في طل ما تحمله العملية السياسية العراقية في العراق من تقسيمات عرقية وطائفية وتكتلات حزبية وولاءات دولية انقسم الشارع العراقي ما بين رافض ومرحب لهذه الزيارة التي أُثير الجدل الكبير حولها حتى كتابة هذه السطور .

عروض وإغراءات سخية حملتها حقيبة الجبير وقدمتها إلى بغداد ، لكن لاندري هل كان بيعها مجاناً لحكومة العبادي لأن الرياض مُنئت بهزائم متتالية وبالتالي ليس أمماً لها إِلَّا خيار الرصوخ للواقع الحال بعد الانتصارات التي حققتها القوات العراقية في دحر الإرهاب ؟ أم هي رسائل لالتفاف حول المتغيرات القادمة وتحديد علاقات العراق مع ايران وسوريا من جانب و تقويض وتحجيم وابعاد مستقبل الحشد الشعبي ومنع تواجد فصائله على الحدود السورية من جانب آخر بحيث يكون الحشد قرباناً وفا تورة تدفع ثمناً وهدية لزيارة الجبير ؟

هل نفهم ان هذه الزيارة هي تعويضاً سعودياً للضرر الذي لحق بالعراق ، والسؤال الأكثر أهمية وهو اذا كان كذلك فمن سيعوض مالحق من أضرار جسيمة بالأرواح والممتلكات لآلاف من الضحايا العراقيين وذوي الشهداء اللذين اصابتهم المفخخات والتفجيرات من قبل ثلاثة آلاف سعودي ارهابي تسللوا عبر حدود المملكة نحو العراق ؟ هل تملك حكومة بغداد القوة بأن تطالب الجبير وحكومة الرياض بتطبيق قانون جاستا ضدها لتعويض الأضرار التي لحقت بالمواطن العراقي ام ان صوت العدالة العراقية خافت لا يقوى على الكلام لأعيارات كلنا على دراية بها .

لا يمكنني والآلاف غيري ان نصدق إن هذه الزيارة ستذيب تراكمات الجليد المتصلب ما بين البلدين وتبعد صفحة مليئة بالورود والرياحين تفرش امام للعراقيين لتطوي صفحات تفخيخ السيارات وعبور الارها بيبين وقتل الأبرياء . ولاعتقد ان بغداد ستشهد سفيرا يختلف عن السبهان عارفاً ومحترماً حدود مهنته لا يقيم زيارات لسجون الارها بيبين من السعوديين ، ويقايس المتعاقدين من العراقيين بإخراجهم . كما نتمنى من

حكومة العبادي والدبلوماسية العراقية ان تخبرنا إن كان قد قدّم الجبير اعتذار عن تصريحاته المسيئة للحشد الشعبي ولم بعد يتدخل بالشأن العراقي ولم يعد يضع فيتو محدد على مقاس المملكة من الحشد يحدد له مقدار المساحة المسموحة له بالتحرك في معركته القتالية في مواجهة داعش داخل أراضيه ،

اذا أراد الجبير والاسرة الحاكمة في الرياض بناء علاقات قائمة على الود والاحترام عليها ان تكون جادة في ادعائاتها وان تُترجم تلك الاقوال وتحولها الى واقع ملموس على الارض ليس بالمجاملات والقبلات فقط . عليها بتغيير مناهجها الدراسية وكيفية التعاطي مع كبار مشايخ الفتنة وتضع قيوداً لمحاربة مدارس الفكر الوهابي التكفيري المنتشرة على أراضيها وللتي تُخرج الآلاف من الشباب يحملون الحقد والكراء ضد المعتقدات الأخرى تبيح لهم قطع الرؤوس والذبح على الهوية ؟ كما ان المملكة^٣ ضخت وموّلت المليارات في خراب بلدان المنطقة من العراق الى سوريا ولبنان ولibia واليمن ومصر ،

و ما ا يستطيعت حتى هذه اللحظة ان تجني ثمار مخططات لها لا في لبنان ولا في عاصفة الحزم ولا العراق ولا زال بشار رئيساً لم يسقط ، فلا بد من ان تعيد النظر في كل سياساتها الخاسرة التي راهنت عليها بحروب الانابه والتي أدت نتائجها سلباً على اقتصادها مما جعلها تفرض على الشعب السعودي سياسة التقشف والاقدام على بيع خمسة بالمائة من شركتها العملاقة آرامكو لتعالج بعض خسائرها . نتمنى على عقلاه المملكة ان يقدموا النصائح لمن يعنيه الامر في الحكم باحتضان الشباب الذي تلوثت أفكاره بالفكر الوهابي وان تعيد تأهيلهم نحو البناء والإصلاح تستفيد منهم الأمة بدلاً من استغلالهم في حروب عبئية خدمة للمشروع الصهيوني

والتي استبدلت خطره بالخطر الإيراني ومدت يد المصالحة العلنية اليه ، ما يؤكّد كلامنا هذا تصريح سفير أمريكا الجديد في تل أبيب ديفيد فريدمان "ان العرب والإسرائيليين يوحدهم القلق من ايران وهي دولة داعمة للارهاب".

ولو أجرينا مسح لآراء الغالبية الساحقة من الشعوب العربية لوجدنا إن ايران لا تسبب لديهم مصدر قلق لاعقائدياً ولا عسكرياً ولا تجد في ايران خطراً بل ترى ان التهديد الاول الذي يهدد العرب والمسلمين هو الوجود الإسرائيلي وتوسيع المستوطنات وإنشاء دولة يهودية عاصمتها القدس وان ما يشاع عن الخطير الإيراني ما هو إلا^٤ تضخيم إعلامي صهيوني خليجي مقصود يهدف قتل وتعزيز محور المقاومة الفلسطينية . سؤالنا لهؤلاء حكام عرب السعودية والخليج أين كان قلقهم عندما كان الشاه الفارسي البهلوi قبل الثورة الاسلامية . يحتقر العرب ويرتعب وترحل منه دول الخليج في وقت كان العالم الصهيوني يرفرف من على ارض وأسطح طهران . لا ادري كيف تُقرأ هذه المتناقضات وأين الخلل في التفكير .

حكومة المملكة لا تريد ان ترى العراق موحداً قوياً يمتلك جيشاً كبيراً وقدرات هائلة ، عراقاً يمتلك ثروة نفطية وما تائية ، عراقاً يتصدى للكيان الغاصب ، لذا أغرفت العراق بحرب ضروس لثمان سنوات

بأغواء الطاغية صدام تحت شعارات خادعة (حامي البوابة الشرقية من تصدير وتمدد الثورة الاسلامية) .
حرب أُريد منها احتواء اكبر قوتين في المنطقة العراق وإيران.

في عام 2003 ابتعدت المملكة عن العراق وتعاملت معه كإمارة تابعة الى ولاية الفقيه في ايران . ولم تعرف بالعملية السياسية كلها بل عملت جاهدة على إفشالها ورعت مؤتمرات المعارضة وأنفقت المليارات لتدمير العراق ،

انا هنا لست في صدد الدفاع عن حكومة بغداد المليئة بالاخطا و الفساد لكن هناك حقائق لا يمكن تجاهلها نعم ايران تتدخل بالشأن العراقي وقاسم سليماني حاضر في العراق في قتاله مع داعش لكن بالمقابل يعترض العراقيون على هكذا اتهامات باعتبار ان الايرانيين متواجدون كمستشارين بطلب من الحكومة العراقية ووجودهم لا يختلف عن وجود الاستشاريين الامريكان في العراق او الروس في سوريا وان تدخلهم في العراق ينحصر في الدفاع عن اراضيه والحدود وتأمين حدودهم ايضاً . وفي تصريح ينسب الى مسعود بارازاني يؤكّد فيه انه لولا ايران لسقطت أربيل

كما ان العراقيين في بعض تصريحاتهم يرددون لولا قاسم سليماني والدعم الإيراني لسقوط بغداد . ثم انه في الوقت الذي يتواجد ثلاثة آلاف ارهابي سعودي في السجون حسب ما يتردد من المسؤولين العراقيين لم يتواجد إيراني واحد استهدف عملاً ارهابياً في العراق طيلة ثلاثة عشر عاماً . نعم ان ايران متواجدة في العراق وبحضور واسع والسبب لأن العرب وعلى رأسهم المملكة تخلوا عن العراقيين وتأمرؤا عليهم لاعتبارات مذهبية وتركوا الساحة مفتوحة بكل ابوابها نحو البديل الإيراني فكان من الطبيعي ان تستثمر ايران هذا الغياب وتتاح لها فرصة ثمينة في التدخل والسيطرة على الكثير من الملفات الاقتصادية والسياسية وحتى المائية والنفطية رفضتها الكثير من الكتل لانها تؤثر سلباً على الاقتصاد العراقي .

نتمنى ان تعني السعودية ان اللها وراء قوة امريكا رهان خاسر وإذا كان او بما قد طعنهم بالظهر في ملف ايران النووي ولم يأبه بحل عمره اكثر من ثمانين عاماً تتعهد فيه امريكا بحماية المملكة هل نصدق الان ان ترامب المجهول في مستقبله الرئاسي والذي أهانهم بلغة متدنية وكلمات استعلاء تجاوزت كل اديبيات اللباقة احاطت من قدرهم وكرامتهم قائلا لهم (أنتم لا تملكون غير المال) ووجودكم مرهون بحمايتنا فهل يمكن التعويل بعد ذلك على هكذا رئيس او على امريكا .

نتمنى ان نصدق ما اتي به الحبير من وعود براقة تحمل مستقبل رائع للعراق وللمنطقة كلها ونتمنى ان يعود العراق الى حاضنة الدول العربية حتى وان جاء الوقت متاخراً . لكن هناك المثل العربي يقول هل يصلح العطار ما افسد الدهر ؟ وهل بقيت مصاديقاً حقيقة يثق بها العراقيون نحو حكومة المملكة بعد ان إكتووا بحرابات عميقة لاتندمل بالوعود والمحاملات والقبل .